

فهم يمشون في ثياب مضاعفة النسيج ، وهم آمنون لا يبرحون ولا يخافون كما تخاف العرب ، لا ينتجعون ولا يتخففون إلى مكان آخر ، ومنازلهم مفتوحة للأضياف والطراق والعفاة حتى لتأنس كلابهم بالمقصاد فلا تهرّ على أحد ، لا يسألون من يقبل عليهم أو يؤم ديارهم ، فهم في خفض من العيش يستضيفون كل من يمرّ بساحتهم . ومثله الخطيئة ، فقد مدح عمر بن الخطاب طمعاً في عدالته ورجاء بقضاء حاجة يطلبها، فرأى فيه أمين الخليفة بعد الرسول وأوفى قريش جميعاً وأطولهم في الندى بسطة ، وأفضلهم فعلاً .

وأما الأخطل ، فقد كان شاعر الخلفاء ، وشاعر بني أمية كلها ، مدحهم واستدرّ جودهم وعطفهم وحبهم ، وكان يبدأ مديحه بالأسلوب القديم على عادة أقرانه ، ثم ينتقل منه إلى الممدوح فيقول في الخليفة عبد الملك بن مروان :

الخائضُ الغمرُ والميمونُ طائرُهُ خليفةُ الله يُستسقى به المطرُ^(١)
 وما الفراتُ إذا جاشت حوالبُهُ في حافتَيْهِ وفي أوساطِهِ العُشْرُ
 ودغدغته رِيحُ الصَّيْفِ واضطربتْ فوق الجاجي من آذِيهِ غُدْرُ^(٢)
 مُسْحَنَفِرٌ من جبال الرومِ يسترُهُ منها أكافيف فيها دونه زورُ^(٣)
 يوماً بأجودَ منه حين تسالهُ ولا بأجهرَ منه حين يعجتهرُ^(٤)

فالخليفة شجاع يخوض الحرب ، ميمون النقية ؛ وهو في كروه أشد سعة من الفرات إذا جاشت أمواجه واصطفقت أواذيه ، وسقط منحدرأ من جبال الروم في سرعة وهول . وهذه الصورة تذكرنا بما قال النابغة في الفرات حين

(١) الغمر : الماء الكثير .

(٢) دغدغته : فرقة - آذى : موج - جاجي : صدور - غدر : ج غدير .

(٣) المسحنفر : السريع الجري - أكافيف : مناكب - زور : ميل .

(٤) الجهير : الرجل الرائع الجسيم .